سنة الابتلاء: السلبيات والإيجابيات فيروس "كورونا" أنموذجا



د. عبد الله غازيوي

جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس

كلية الشريعة بفاس.

يتوخى هذا البحث الإجابة عن بعض الأسئلة الجوهرية المتعلقة بوباء كورونا:

- كيف يتعامل المؤمن مع الابتلاء؟
- ما هي الآثار السلبية لوباء كورونا؟
- ما هي الآثار الإيجابية لوباء كورونا؟

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على من جاءنا بالهدى والنور العميم، سيدنا محمد الرؤوف الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، الذي لا يحمد على مكروه سواه، الملك الحق المبين، الهادي خلقه إلى الطريق المستقيم، أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده.

وبعد، فمن الواضح لدى الناس أجمعين، أن العالم كله عرف في نهاية دجنبر من عام 2019م جائحة وباء "كورونا" التي اجتاحت كل القارات في وقت وجيز، وتلقى الناس ذلك الخبر بأعلى درجات اليقين، حيث بلغ حد التواتر الذي لم يصل إليه أي خبر من حيث المستند، ولم يسبق له نظير في التاريخ - فيما أعلم - وإن كان وباء "الطاعون" يظهر بين الحين والآخر في ربوع المعمور، كما

هو ثابت من طرق شتى، ولكن ليس بهذا الانتشار الواسع الذي عم العالم كله. وهذا الوباء هو نوع من أنواع الطاعون الذي يبتلى به الناس بين الفينة والأخرى؛ لأن الله سبحانه خلق الإنسان وابتلاه بالخير والشر، مصداقا لقول الله -ﷻ-: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾[1]. قال ابن عطية - رحمه الله -: وقول الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾ الآية، أمر تعالى بالاستعانة بالصبر، وأخبر أنه مع الصابرين، ثم اقتضت الآية بعدها من فضل الشهداء ما يقوي الصبر عليهم، ويخفف المصيبة، ثم جاء بعده من هذه الأمور التي لا تتلقى إلا بالصبر أشياء تعلم أن الدنيا دار بلاء ومحن، أي فلا تنكروا فراق الإخوان والقرابة، ثم وعد الصابرين أجرا. وقال عطاء والجمهور: إن الخطاب في هذه الآية لأمة محمد - ﷺ - ثم قال بعد ذلك: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ ﴾ معناه لنمتحننكم، و﴿ الْخَوْفِ ﴾ يعني من الأعداء في الحروب... بالموت والقتل[2].

ولقوله تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ ﴾[3] قال الزمخشري - رحمه الله -: والبلاء في الأنفس: القتل والجراح وما يراد عليهما من أنواع المخاوف والمصائب[4]. ولقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[5].

قال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى -: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ أي نختبركم بالشدة والرخاء، والحلال والحرام، فننظر كيف شكركم وصبركم[6].

ولما داهم فيروس "كورونا" العالم كله، صار الناس يحللون السبب، فمن قائل: إن السبب يعود إلى فعل فاعل من قوى الشر في العالم، ومن قائل: إن الله أراد أن ينتقم من بعض الظالمين بسبب تعذيبهم للمسلمين، وهناك تحليلات عدة

(1) سورة البقرة، آية 154.

(2) المحرر الوجيز، 1/227 - 228.

(3) سورة آل عمران، آية 186.

(4) الكشاف، 1/439.

(5) سورة الأنبياء، آية 35.

(6) أحكام القرآن، 6/136.

للحدث، وأقوال كثيرة، وليعلم المرء في هذا المقام أنه لا يمكن إطلاقاً حدوث شيء في الكون إذا لم يرده الله –سبحانه وتعالى–؛ لأنه وحده المتفرد بالتأثير فيه، وهذا معنى توحيد الله في الفعل، فإذا أراد الله أن ينبه الإنسان أجرى ذلك على يد بعض مخلوقاته، ويسر له الأسباب.

المبحث الأول: كيف يتعامل المؤمن مع الابتلاء؟

إذا كان الابتلاء سنة كونية، وواقعا شرعا وعقلا وعادة، فإنه درجات: أعلاها درجة مصيبة الموت، فكيف يكون موقف الإنسان المسلم منه؟ إن الموت الذي كتبه الله على كل المخلوقات، لا يكون إلا بأجل محدود من قبل الخالق، قال الله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[1].

قال ابن كثير: أي لا ينذر أحدا بعد حلول أجله، وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقا في قوله وسؤاله، ممن لو رد لعاد إلى شر مما كان عليه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[2] ولئن كان الموت محققا فأسباب حدوثه تختلف، ومما تواتر عن عامة الناس وخاصتهم: قول الشاعر:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ❁❁ تعددت الأسباب والموت واحد[3].

مع أن الا بتلاء بجميع أنواعه كله خير بالنسبة للمسلم، وقد ثبت في الخبر: "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له"[4].

والوباء الذي يصيب مجموعة من الناس في آن واحد ويُودِي بحياتهم له تجليات عدة في الواقع، وكلها أنواع من الابتلاء، فقد تكون زلزالا مدمرا، أو غرقا

---

(1) سورة المنافقون، آية 11 تفسير ابن كثير 24/7.

(2) تفسير ابن كثير 24/7.

(3) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر 407/4. تأليف: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي المتوفى: 1111 هـ. طبعة: دار صادر - بيروت

(4) صحيح الجامع الصغير 737/2. طبعة: دار النشر: المكتب الإسلامي بيروت.

عاما، أو حريقا مهولا، أو حَدَثَ سَيرٌ مفجع، أو تسمما عاما، أو أشياء غير معروفة، مثل ما سمعنا في السنوات الأخيرة عن انفلونزا الطيور، الذي تحول إلى وباء وانحصر في الصين، وأودى بحياة عدد كثير من الناس، وانفلونزا الخنازير الذي انحصر في أوكرانيا وألمانيا، فَشَلَّ الحركة في كثير من القطاعات. وقتل عددا كبيرا من الناس، ومثل هذا يدخل في مسمى الطاعون، ويشمل كل ما من شأنه أن يعم فيه البلاء خلقا كثيرا.

ولنسمع ما جاء صريحا في موقف المسلم من الطاعون، وهو الحديث الذي رواه سيدنا مالك في الموطأ: عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد ما سمعت من رسول الله - ﷺ - في الطاعون؟ فقال أسامة: قال رسول الله - ﷺ -: الطاعون رجز[1] أرسل على طائفة من بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه".

قال الباجي - رحمه الله - قوله: -ﷺ-: رجز أرسل على طائفة من بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم، يحتمل وجهين:

- أحدهما أن يريد أنه أول ما نزل إلى الأرض، وحدث بالناس، حدث بهم على هذا الوجه.
- والوجه الثاني: أن يكون نزل في بلد على أنه غريب، وأنه تكرر بعد ذلك في ذلك البلد. وقد روي أنه كان عذابا لأولئك، ورحمة للمؤمنين، لمن ظهر ببلده، أو قام صابرا محتسبا فأصيب به[2]. لأن أمر المؤمن كله له خير لاعتقاد أن كل ما وقع هو من تدبير الله تعالى. وإذا كان عذابا لبني إسرائيل ورحمة للمؤمنين، فهو ما أتحدث عنه بالنسبة للسلبيات والإيجابيات لاحقا - إن شاء الله تعالى -

(1) معجم مقاييس اللغة: الراء والجيم والزاء أصل يدل على اضطراب من ذلك الرجز: داء يصيب الإبل في أعجازها. مادة: ر - ج - ز.
وقال الفيومي: الرجز: العذاب وهو المناسب مادة: ر - ج - ز.

(2) المنتقى، 263/9 - 264.

وقـال الإمـام الباجـي أيضـا: خـص بالمنـع الخـروج عـلى هـذا الوجـه، فيجـوز لمـن أراد الخـروج منـه لغـير ذلـك الوجـه مـن حاجـة تنـزل بـه إلى السـفر منـه أو الانتقـال عنـه، ويجـوز لمـن اسـتوخم[1] أرضـا أن يخـرج منهـا إلى بلـد يوافـق جسـمه[2].

فعُلـم مـما سـبق أن الوبـاء قديـم جـدا قبـل البعثـة المحمديـة وهـو معنـى قولـه - ﷺ -: أرسـل عـلى بنـي إسرائيـل أو عـلى مـن كان قبلكـم، وهـو لا يختـص بأمـة سـيدنا محمـد - ﷺ - واسـتمر بعدهـا، كـما وقـع في أزمنـة متلاحقـة، وهـذا مـا يفهـم مـما تحـدث عنـه نبـي الإسـلام، وبـين لأمتـه كيفيـة التعامـل معـه، فقـال - ﷺ -: " إذا سـمعتم بالطاعـون في أرض فـلا تدخلوهـا، وإذا وقـع بـأرض وأنتـم بهـا فـلا تخرجـوا منهـا"[3] فهـذا شرط صُـدِّرَ ب: "إذا" التـي تفيـد الربـط بـين الكلامـين، وهـما الـشرط والجـزاء، ومـما تدخـل عليـه إذا: المعلـوم والمشـكوك، والنبـي الكريـم لا يتحـدث إلا عـن المعلـوم، فهـذا أمـر حـدث مـرات في التاريـخ، قبـل وبعـد مجـيء الرسـالة المحمديـة مـما يـدل عـلى أنَّ: " إِذَا" إذا دخلـت عـلى المعلـوم. فإنهـا تعـم معنـى لا لفظـا؛ لأن "إذا" ليسـت مـن أدوات العمـوم، وإن كانـت مـن أدوات الـشرط، ولأن الواقـع صـدق مـا أخـبر بـه النبـي الكريـم - ﷺ - ولذلـك كانـت أعـم مِـنْ "إِنْ" الشرطيـة فهـي تفيـد الـدوام والاسـتمرار معنـى، وتـدل أيضـا عـلى الزمـان بالمطابقـة وعـلى الـشرط بالالتـزام، فالحكـم عـام يعـم الزمـان والمـكان والإنسـان. وفي نهيـه - ﷺ - عـن الخروج مـن أرض الوبـاء وعـن الدخـول إليهـا، دلالـة عـل أنـه نهـي كراهـة، بدليـل اختـلاف الصحابـة -رضي اللـه عنهـم - في قصـة عمـر، فلـو كان نهيـا قاطعـا يفيـد التحريـم لمـا اختلفـوا في مدلولـه. ومعلـوم أن الوبـاء اسـتمر عـبر الأزمنـة المتلاحقـة، والأمكنـة المتعـددة، بدليـل معرفـة الآبـاء والأجـداد لـه، إلا أنـه لم يكـن عامـا مثـل عمـوم وبـاء فـيروس "كورونـا" مـن حيـث الانتشـار واكتسـاح القـارات الخمـس، لا مـن حيـث عـدد المـوتى فحسـب. وإلا فوبـاء القـرن الرابـع عـشر والسـابع عـشر للميـلاد، كان أكـثر مـن غـيره؛ لأن الطاعـون أصـاب الملايـين مـن النـاس.

---

(1) قال ابن فارس: الواو والخاء والميم: كلمة واحدة هي الوخم الْوَبِيُّ من الشيء. واستوخمت البلاد، وبلاد وخمْة ووخيمة: لا توافق ساكنها. معجم مقايس اللغة مادة: و - خ - م.

(2) المصدر نفسه - ص 264.

(3) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون.

والسبب في عدم الاكتساح يرجع - والله أعلم - إلى أن تأديب الله لخلقه كان جزئيا؛ لأن عوامل الفساد لم تبلغ ما بلغت في زماننا هذا، والعذاب الذي ينزله الله عقابا لعباده يكون بقدر انتشار الفساد، بدليل قول الله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1]. فقوله تعالى: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾"يشمل هذا المعنى؛ بحيث إنه يظهر في مكان دون مكان آخر، ولما أراد الله سبحانه أن ينبه الخلق أجمعين - على أنهم بالغوا في الطغيان وتجاوزوا الحد في ادعاء القوة المطلقة على فعل كل شيء لما يمتلكونه من وسائل التكنولوجيا - ابتلاهم بهذا الوباء العام، الذي تبين من خلاله أنهم لا يملكون أمام رده حولا ولا قوة، كما هو واضح في اعتقاد المسلمين الذين يؤمنون إيمانا جازما بأن تدبير شؤون الكون كله له وحده، لا يشاركه في ذلك غيره، ليظهر عجزهم أمام قدرته سبحانه الخارقة.

فبسبب عموم الإجرام، أجرى الله سبحانه أسباب وسائل عموم بلاء الوباء في مجموع ربوع المعمور، وذلك عن طريق تسخير الله -ﷻ- وسائل التنقل السريعة، فانتشر الوباء عبرها سرعة البرق الخاطف، فأصبح الناس يرون آثار الوباء عيانا، والموت محققا، وعجزَت الدول التي تدعي القوة والعظمة عن استقبال مرضاها، وضاقت أماكن دفن موتاها، وحار أطباؤها وخبراؤها في تطويق ما أحيط بها. لله الأمر من قبل ومن بعد.

المبحث الثاني: الآثار السلبية لوباء "كورونا".

على الإنسان أن يعتقد اعتقادا جازما أن الخير الخالص هو في الجنة، وأن الشر المحض هو في النار، وجرت عادة الإنسان الضعيف في الكون أن يكره أشياء لأنها في نظره شر، ويحب أمورا على اعتقاد أنها خير، في حين أن الواقع على عكس تقدير المكلف؛ لأنه لا يعلم الغيب.

وفي هذا المعنى نصوص كثيرة جدا من القرآن ومن السنة على أن الذي اختص بعلم الغيب هو الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

(1) سورة الروم، آية 40.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1]. والذي يفسر حقيقة الإنسان تفسيرا حقيقيا هو الله سبحانه، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

إن الآية نص في الجهاد؛ لأن القتال مكروه بالطبع لما فيه من التعرض للأسر والقتل، وإفناء الأبدان وإتلاف الأموال، والخير الذي فيه هو الظفر والغنيمة بالاستيلاء على النفوس، والأموال أسرا وقتلا ونهبا وفتحا، وأعظمها الشهادة، وهي التي تمناها رسول الله - ﷺ - مرارا[3]. ومع ذلك فإن الآية تشمل كل أمر لا يعلم الإنسان ما في عاقبته من خير أو شر، لأن المرء لا يعلم ما يعلمه الله -ﷻ-، ولأن عواقب الأمور مغيبة عن علم العباد. وفي الكلام تنبيه على الرضى بما جرت به المقادير. قال الحسن: لا تكرهوا الملمات الواقعة، فلرب أمر تكرهه فيه أَرَبُكَ، ولرب أمر تحبه فيه عَطَبُكَ[4].

وقد نزلت بالمسلمين جائحة وباء "كورونا" ونظروا من جانب واحد وهو الجانب السلبي منه، ونسوا أن الدهر فيه كرب ونوائب، قد تصيب وقد تخطئ.

وفي هذا المعنى جرى المثل السائر: " مصائب قوم عند قوم فوائد". قال بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: من علم أن كل نائبة إلى انقضاء حسن عزاؤه عند نزول البلاء. وكان شيخنا سيدي محمد التاويل - رحمه الله - يقول لطلبته: على الإنسان أن يتوقع دائما الأسوأ في كل أحواله، فإن كانت سيئة فقد استعد لها، وإن كانت حسنة فذلك ما يرجو. وقيل للحسن البصري - رحمه الله -: كيف ترى الدنيا؟ قال: شغلني توقع بلائها عن الفرح برخائها. فأخذه أبو العتاهية فقال:

تَزِيدُهُ الْأَيَّامُ إنْ أَقْبَلَتْ ❁❁ شِدَّةَ خَوْفٍ لِتَصَارِيفِهَا
كَأَنَّهَا فِي حَالِ إسْعَافِهَا ❁❁ تُسْمِعُهُ وَقْعَ تَخْوِيفِهَا

(1) سورة الحجرات، آية 18

(2) سورة البقرة، آية 214.

(3) البحر المحيط، 380/2.

(4) المصدر نفسه 380/2 - 381.

وقال المتنبي:

بِـذَا قَضَـتْ الْأَيَّـامُ مَـا بَـينَ أَهْلِهَـا ❁❁ مَصَائِـبُ قَـوْمٍ عِنْـدَ قَـوْمٍ فَوَائِـدُ

وأنشد بعض أهل الأدب:

أَلَا إنمَّـا الدُّنْيَـا غَضَـارَةُ أَيْكَـةٍ ❁❁ إِذَا اخْـضَرَّ منْهَـا جَانـبٌ جَـفَّ جَانبُ
فَـلَا تَفْرَحَـنْ منْهَـا لـشَيْءٍ تُفيـدُهُ ❁❁ سَـيَذْهَبُ يَوْمًـا مثْـلَ مَـا أَنْـتَ ذَاهبُ
وَمَـا هَـذِهِ الْأَيَّـامُ إلَّا فَجَـائِعٌ ❁❁ وَمَـا الْعَيْـشُ وَاللَّـذَّاتُ إلَّا مَصَائِـبُ.

عـلى الإنسـان أن يعلـم أن في مـا وقِـي مـن الرزايـا، وكفـي مـن الحـوادث، مـا هـو أعظـم مـن رزيتـهِ، وأشـد مـن حادثتـه؛ ليعلـم أنـه ممنـوح بحسـن الدفـاع.

وقيـل للشـعبي في نائبـة: كيـف أصبحـت؟ قـال: بـين نعمتـين: خـير منشـور، وشر مسـتور.

وقال أبو نواس:

الْمَـرْءُ بَـينَ مَصَائـبِ لَا تَنْقَـضِي ❁❁ حَتَّـى يُـوَارَى جسْـمُهُ فِي رَمْسِـهِ
فَمُؤَجَّـلٌ يَلْقَـى الـرَّدَى فِي أَهْلِـهِ ❁❁ وَمُعَجَّـلٌ يَلْقَـى الـرَّدَى فِي نَفْسِـهِ[1]

وعليـه فليسـتعدَّ كل عاقـل لتلقـي المـكاره بصـدر رحـب، وليعلـم بـأن كل مـا وقـع فبتقديـر مـن العليـم الخبـير. والمؤسـف لـه أن أغلـب النـاس - لبُعدهـم عـن المنهـج الإسـلامي - يعتقـدون أن الـذي يُسَـيِّرُ الكـون هـو قـوة بشريـة لا تقهـر ولا تغلـب، ولكـن أيـن هـي الآن أمـام اجتيـاح الوبـاء في العـالم كلـه، مخلفـا وراءه مجموعـة مـن السـلبيات. أهمهـا مـا يـلي:

1 - الاضطرابـات النفسـية: لمـا تيقـن النـاس مـن اجتيـاح وبـاء "كورونـا" أصابهـم الهلـع والفـزع، وركبهـم الخـوف، وتمكـن منهـم الذعـر، فمنهـم مـن أصيـب باضطرابات نفسـية، ووسوسـة قهريـة، فتوقعـوا الوبـاء في كل سـطح مـن سـطوح الأشـياء، خاصـة حينـما صـار الوبـاء يكتسـح المـدن والأمصـار والقـرى، فأخـذوا الاحتيـاط أكـثر مـن

(1) أدب الدنيا والدين، للماوردي ت: 450 هـ. طبعة: دار مكتبة الحياة.

اللازم، مما كانت له آثار سلبية على حياة الفرد والجماعة. ولم يكن الناس يعتقدون أنه سيأتي عليهم يوم يجلسون في منازلهم مضطرين فرارا من خطر الموت. ومعاناة الجلوس في البيت عرفت نوعين: معاناة الآباء في أنفسهم ومعاناتهم مع أبنائهم، حيث إن الأبناء لم يطيقوا المكوث في البيت بأي وجه، وسبَّبَ لهم ذلك اضطرابات نفسية، ولم يجد الآباء الحل لذلك إلا الاستعانة بوسائل التواصل والإدمان عليها بكل محاسنها ومساوئها.

ومن الناس من استهتر بالأمر في بدايته حتى كان ذلك عاملا أساسا في انتشار الوباء على أوسع نطاق، ووجد في أما كن تجمع الناس الذين لم يتوقعوا العدوى، فكم من متسبب في وفاة أبيه أو أمه أو أحد قرابته وزملائه جراء عدم الاكتراث بالأمر. وعند تبين حقيقة الأمر، يصير ذلك غصة في نفس المتهورين، وندما مستمرا يؤنب الضمائر الحية، ويحدث في النفس قلقا كلما تذكر فقدان أحد أهله بما كسبت يده.

2 - ومن سلبيات الوباء، أن مكوث الآباء في المنزل قد يكون نقمة على نفسه وأهله خاصة إذا كان مبتلى بتعاطي المحرمات التي لم يصبر على فراقها، ولم يجد لدفعها سبيلا، فإنه ينقم على أهله بغير سبب حاصل منهم، ويعلق على كل حركة في المنزل، ويتحول إلى سَبُعٍ وحشي يبتلع كل من يجده أمامه، حتى يفضل الأبناء الضعاف، والزوجة المسكينة، حرمانهم من وجوده معهم، ويكون بقاؤه خارج البيت بالنسبة إليهم أحب من مكوثه معهم.

3 - ومن سلبيات الوباء أن من تعامل مع فيروس "كورونا" على أنه مجرد نقمة، ولم تكن له عقيدة صحيحة، ولا ارتباط له بالله تعالى، تلقى ذلك بالسخط وعدم الرضاء بالقضاء والقدر، فينعكس ذلك سلبا عليه وعلى أهله وأبنائه ومجتمعه، فتكثر ملحوظاته وقلقه واضطرابه النفسي وإصابته - والعياذ بالله - بالاكتئاب والوسواس. والقنوط من قضاء الله تعالى واليأس من رحمته.

4 - ومن سلبيات الوباء ما خلفه من الخسائر البشرية في معظم دول العالم حسب ما أخبرت به منظمة الصحة العالمية، وهو أن عدد الموتى تجاوز أربعمائة

ألف من الناس إلى حد الساعة (2020/6/9م). موزعين على دول العالم، سواء من كان منهم كبيرا أو صغيرا، مريضا أو صحيحا، ذكرا أو أنثى. وإن كانت البلدان العربية أقل بكثير من غيرها - بفضل الله تعالى - مع العلم أن كل من مات فقد مات بأجله كما هو معلوم عقيدةً.

5 - إن نعمة النسب لا تضاهيها أية نعمة، ذلك أن سعادة الإنسان تكمن في اجتماعه بأهله وعشيرته في السراء لتشاركه فرحته، وفي الضراء لتخفف عنه وطأة حزنه، ومن سلبيات الوباء حرمان من مات أحدُ أقربائه من المواساة وتخفيف الحزن، فمن المعلوم أن كل من مات في هذه الفترة حرم أقرب الناس إليه من الأهل والأحبة من تشييع جنازته، ومن الاجتماع للمواساة إلا في عدد محدود جدا يعد على رؤوس الأصابع، وإنا لله وإنا إليه راجون.

6 - ومن خصائص المجتمع المسلم زيارة الأهل والأحبة، خاصة في المناسبات الدينية وغيرها من الولائم. فكان أبرز سلبيات الوباء حرمان الناس من صلة الرحم في المناسبات الدينية وغيرها فحرم الولد من زيارة أبيه، والزوج من الالتحاق بزوجه، والأخ من زيارة أخيه، خاصة في التنقل فيما بين المدن.

7 - ومن سلبيات الوباء شل حركة الاقتصاد العالمي وليس المحلي فحسب، بسبب توقف المقاولات الكبرى والمتوسطة والصغيرة، والشركات بكل أنواعها إلا ما سمح به لضرورة أكل أو شرب أو دواء أو صناعة بعض الأقنعة الواقية من المرض. ومنه توقف وسائل النقل البرية والجوية وبعض البحرية إلا ما ندر لضرورة، وشل حركة السياحة الداخلية والخارجية التي كانت تنعش الاقتصاد إضافة إلى إغلاق المحلات التجارية غير الضرورية ومعامل المهن والحرف الصناعية...

8 - ومن سلبيات الوباء توقف رسالة المسجد ومؤسسات التعليم...، فمن كان يتوقع من غير المؤمنين الذين يؤمنون بقدرة الله على كل شيء أن هناك قوة خفية تستطيع أن توقف حركة الكون كله في لحظة واحدة، لا قِبَلَ للناس بها أبدا، بما في ذلك إغلاق المساجد ودور العبادة، وهو - فيما أعلم - سابقة لم يثبت في التاريخ أن سُجل فيه إغلاق المساجد بالمرة، وتعطيل الجمعة والجماعة، وشعيرة

العيد، وإلزام الناس بالبقاء في منازلهم خشية تعرضهم لموت محقق. ومع ذلك كله فإن ليَّ اليقينَ أن الله - ﷻ - بفضله وكرمه - سيكتب الأجر كاملا لمن جلس في داره بسبب الحد من انتشار وباء" كورونا" إيمانا واحتسابا - إن كان فعلا من قبلُ يواظب بصدق على ريادة المسجد - فيثاب على أجر الخطى، ويحصل له أجر الجماعة - إن شاء الله - ويضاعف له الثواب كما كان يحصل أن لو ذهب إلى المسجد.

وأقول لمن تحسر على إغلاق المسجد وكاد قلبه يتقطع أسفا لذلك: أبشر فإن من خصائص أمة سيدنا محمد أن جعلت لها الأرض كلها مسجدا وتربتها طهورا، قال الله تعالى: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] قال ابن عطية في قول الله سبحانه: ﴿قِبْلَةً﴾ ومعناه مساجد، قاله ابن عباس والربيع والضحاك وغيرهم، قالوا: خافوا فأمروا بالصلاة في بيوتهم[2]. وفعلا فما مكث الناس في منازلهم إلا خوفا من الموت وانتشار العدوى، وفي هذا المعنى ورد عن جابر بن عبد الله أن النبي - ﷺ -: قال: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل"[3]. فمن هَمَّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة.. " فهل هناك دين فيه هذا الخير والفضل الكبيران غير دين الإسلام؟ فلله الحمد والشكر والمنة. فالمرء الذي يحرص على حصول أجر الجماعة يكتب له ذلك بإذن الله إذا همَّ بذلك ومنعه القدر.

9 - ومن سلبيات الوباء توقف المؤسسات التعليمية التربوية عن أداء رسالتها وإن حاولت الإدارة المركزية للتعليم بجميع أسلاكه، والمؤسسات التابعة لها - مشكورة - تعويض ذلك بملء وقت الطلبة والتلاميذ بإرسال الدروس عن بعد من أجل القضاء على الفراغ، ومع ذلك فإن تلك المحاولة لم تحقق كامل المطلوب بشهادة الجميع، لأن أغلب أهل البوادي والقرى لا يتوفرون على وسائل

---

(1) سورة يونس، آية 87.

(2) المحرر الوجيز، 130/3.

(3) صحيح البخاري، باب التيمم.

التواصل. والتعليمُ عن بعد يستحيل أن يحل محل التعليم المباشر؛ لذهاب بركة المجلس، والحرمان من الحوار الذي يحصل بين الأستاذ، والطلبة، والمعلم، والتلاميذ، والأسئلة والأجوبة التوضيحية، والمناقشات داخل القسم... والأصل هو التعليم المباشر، استنادا إلى قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[1]. قال الإمام القرطبي: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ يعني القرآن، ﴿ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ السنة، قاله الحسن، وقال ابن عباس: ﴿ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ الخط بالقلم؛ لأن الخط فشا في العرب بالشرع لما أمروا بتقييده بالخط. وقال مالك بن أنس: ﴿ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ الفقه في الدين[2]. والشاهد هو قول الله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ حيث إن عملية التعليم لا بد فيها من تلاقي جهازي الإرسال والاستقبال.

10 - ومن سلبيات الوباء حرمان الإنسان من حرية الحركة والتنقل. بسبب انتشار الوباء، وبتقييد حركة الشخص تدرك قيمة الحرية التي يتمتع بها كل الناس، فقيمة الحرية لا يدركها على حقيقتها إلا من حرمها، ولذلك قال سيدنا عمر في قضية ابن عمرو بن العاص مع الذي وطئ ثوبه فضربه ابن عمرو، فلما شكاه إلى عمر قال له عمر: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا"[3]. وكما لا يعرف قيمة الصحة إلا من فقدها، وقديما قالوا: الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراها إلا المرضى، فعلى الناس الذين يحرمون البعض من حريته أن يعلموا أنها لا تباع ولا تشترى، وأن الله تعالى خلق الناس أحرارا إلا ما كان من تقييدهم بقيود الشرع؛ لأن مصلحتهم الدنيوية والأخروية لا تتم إلا بذلك.

المبحث الثالث: الآثار الإيجابية لوباء "كورونا"

قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ﴾[4]. حقيقة حال الإنسان أنها

---

(1) سورة الجمعة، آية 2.

(2) أحكام القرآن، 4274/9 - 4275.

(3) مقاصد الشريعة الإسلامية، تأليف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393 هـ، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، طبعة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر / 1425هـ - 2004م.

(4) سورة الشرح، آية 5 – 6.

تـتردد بـين أمريـن: حالـة الشـدة، وحالـة اليـسر، وقـد قيـل في عـدم سـلامةِ الإنسـان مـن تلـك الأعـراض كيفـما كان شـأنه وحالـه في هـذه الحيـاة:

ثمانيــة تجــري عــلى المــرء دائمــا ❁❁ وكل امــرئ لابــدَّ يلْقَــى الثمانيــة
سرور وحُــزْن واجتــماع وفُرْقَــةٌ ❁❁ ويُــسْر وعُــسْر ثــم سُــقْمٌ وعافيــة[1].

لذلـك صـدرت الحديـث عـن الإيجابيـات بالآيـة الكريمـة، التـي جـاء في معناهـا أنـه تعـالى أخـبر أن مـع العـسر يوجـد اليـسر[2]. نـزل بالعـالم الوبـاء فـكان عسرا شـديدا، وهــذا العــسر يعقبــه - بفضــل اللــه - يــسر؛ لأنــه مضاعــف عــلى العــسر، وورد عــن الحســن في قــول اللــه -ﷻ-: ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ﴾ قــال: خــرج النبــي -ﷺ- يومــا مــسرورا فرحـا وهـو يضحـك ويقـول: لـن يغلـب عـسر يسريـن ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ﴾[3]؛ لأن العـسر معرفـة، واليـسر نكـرة، ومعلـوم عنـد علـماء البلاغـة أن المعرفـة إذا كـررت كانــت عــين الأولى، وأن النكــرة إذا كــررت كانــت غــير الأولى.

والــذي يمعــن النظــر فيــما وقــع مــن اكتســاح الوبــاء، ويربطــه بقضايــا المعتقــد، يســهل عليــه كل شيء، وينظــر إليــه بعــين الــرضى، فعــلى هــذا يلــزم رصــد الآثــار الإيجابيــة التيقــد يغفــل عنهــا بعــض النــاس، وهــي كثــيرة منهــا:

1 - ربـط مـا يقـع في الكـون بقضـاء اللـه وقـدره وتلقيـه بالـرضى والقبـول وهـذا أمـر محســوم عنــد المؤمن.

فقـد يظـن بعـض النـاس أن فـيروس " كورونـا" نقمـة عـلى الكـون كلـه، والواقـع أنـه نقمـة عـلى قـوم، وفي طياتـه نعـم كثـيرة عـلى قـوم آخريـن، عرفهـا مـن عرفهـا، وجهلهـا مـن جهلهـا، اسـتنادا إلى مـا يـلي:

أن المغاربـة كلهـم - بفضـل اللـه - اعترفـوا مـن خـلال حـدث وبـاء "كورونـا" بإعـادة

(1) ترتيب الفروق واختصارها. لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم البقوري (المتوفى: 707هـ) تحقيق: الأستاذ عمر ابن عباد، خريج دار الحديث الحسينية، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

(2) تفسير ابن كثير، 320/7 طبعة دار الفكر.

(3) المستدرك للحاكم، 528/2.

ترتيب الأولويات لإقامة المجتمع على أسس متينة، وهذا في نظري إيجابي جدا.

2 - إن العقيدة التي يتعلمها المسلم منذ نعومة أظفاره تقتضي ربط أمر الوباء وغيره بفعل خالقه سبحانه، وهذا ما ينبغي أن يستمر الناس في تعلمه وتعليمه والدعوة إليه؛ لأنه هو المنقذ المعين للإنسان عندما تشتد الملمات، وتنزل المدلهمات، فالعلم بأن المدبر الحقيقي للكون هو خالقه سبحانه علم ضروري، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن ما وقع فهو بتقدير الله العليم الخبير الذي لا تخفى عليه خافية في الغيب والشهادة، وربنا لا يفعل إلا خيرا، قال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]. فبينت قدرة الله للعادي والبادي عجز العالم كله عن محاسرة الوباء، وهي قوة خفية لا ترى بالعين المجردة، فوقف الكل حائرا، ما الذي يقدم؟ وما الذي يؤخر؟ وهذا الوباء هو في حقيقة الأمر بعض جند من جنود الله الخفية التي يستحيل أن يحصيها العد، قال أحكم الحاكمين: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾[2] ومع كل ما وقع ففيه لطف ظاهر للعيان، فلو شاء الله –جل جلاله– أن ينتقل الفيروس عبر الهواء فما بقي على ظهرها من دابة، ولكنه قضاء وفيه لطف ظاهر للعباد، وهو أيضا إنذار لهم، قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[3] فيجب على المسلم أن يتعامل مع الفيروس على أنه ابتلاء من الله تعالى، وهو منزله -سبحانه وتعالى-، فلا يقدر أحد على رفعه سواه، وبذلك يكون قد سلم لله أمره، ورضي بقضائه وقدره، وتلقى ذلك بصدر رحب، فلا يجد في نفسه حرجا مما وقع، والخلاص من الوباء يستدعي أن يتوجه العبد إلى الله –سبحانه وتعالى– بالدعاء وكثرة العبادة، واستثمار الوقت في قراءة القرآن، والأوراد المشروعة لرفع الوباء، وهذا ما فعله ويفعله الصالحون من هذه الأمة طيلة مدة الحجر الصحي، كما يجب عليه في مثل هذا الحدث الذي وقع ويتكرر في كل وقت بصور عديدة أن يُفيق من غفلته ويستعد لرحيله.

(1) سورة القصص، آية 68.

(2) سورة المدثر، آية 31.

(3) سورة إبراهيم، آية 54.



إضافة إلى العلاج بالأمور المعنوية، فلا ينبغي إهمال الأدوية المادية التي هي أسباب يجب تناولها، ولا يعتمد عليها، ولذلك قال علماء العقيدة: مباشرة الأسباب واجبة، والاعتماد عليها شرك، والنصوص الشرعية الدالة على استعمالها كثيرة جدا منها: قول الله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] وما ورد عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ – قال: "ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء.[2] وما ورد عن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي - ﷺ - قال: " الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنهى أمتي عن الكي "[3].

ومن قبلُ كان هذا الإنسان المغرور يظن بجهله أنه يستطيع أن يفعل كل شيء بقوته المادية البشرية التي يملكها، وسيطرته على العالم وجبروته الذي لا يقهر، وطغيانه الذي لا يردع، فمن تدبر واقع أفراد القوى السياسية والاقتصادية والإعلامية - خاصة في العالم الذي لا يدين بهدي الإسلام - وما بلغ بها من الطغيان والتجبر حتى ظنوا أنهم استطاعوا التحكم في الكون كله، وأدى بهم ذلك إلى إهلاك الأخضر واليابس والحرث والنسل، وقارن ذلك بما وقع الآن تيقن أن ذلك كله وَهْمٌ مِنْهُمْ.

والله –جل جلاله– لا تخفى عليه خافية، في كل ما يصدر عن هذا الإنسان المتجبر الطاغي المتمرد على الكون، وإنما سبحانه يمهل ولا يهمل رحمة منه بالإنسان؛ لعله في يوم من الأيام يتذكر ويتعظ ويرجع إلى خالقه؛ لأن باب التوبة مفتوح مالم يغرغر العبد.

2 - ومن فوائد الوباء التي يمكن أن تلفت الانتباه أن بعض الآباء كانوا مفرطين في بعض حقوق أبنائهم وأهليهم، ولم يعطوهم من قبل حقهم في الحنان والرأفة والعطف، فكانت سيرتهم فراغ البيوت من وجودهم فيها، فلما جاء الوباء الذي اجتاح الكون التزموا البيت بعد أن كانوا يترددون بين العمل والجلوس في المقاهي

(1) سورة النحل، آية 69.

(2) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما أنزل داء إلا أنزل له شفاء.

(3) المصدر نفسه، والكتاب نفسه، باب الشفاء في ثلاث.

وغيرها من أماكن اللهو وضياع العمر؛ بحيث إنهم يخرجون في الصباح الباكر ويتركون أبناءهم نائمين، ويعودون في المساء ويجدونهم نائمين، فإلزامهم بالبقاء في منازلهم حصلت فيه الألفة بين بعض الآباء والأبناء وأعطي للزوجة حقها من الوقت الذي هو واجب على الزوج وهو ما بينه النبي - ﷺ - " في قصة سلمان مع أبي الدرداء - رضي الله عنهما - لما قال سلمان لأبي الدرداء: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي - ﷺ - فذكر ذلك له، فقال النبي - ﷺ -: "صدق سلمان".[1]

3 - ومن الفوائد التي يمكن أن تستثمر من حدث الوباء أن يراجع الناس أنفسهم، وأنْ يعلموا أنَّ ما أصاب الإنسان من مصائب فبما كسبت يده، فعليه أن يعتبر بما حدث، ويأخذ منه الدروس والعبر، ويحاسب نفسه قبل أن يفوت الأوان، ويرجع إلى رشده إن بقيت له فرصة، وبقي في العمر بقية. فكثير من الناس فاجأهم الموت بأحد الأسباب، وهي كثيرة جدا، مثل وباء فيروس "كورونا" من غير سابق إعلام، ولا تقدم إنذار، فأودى بحياتهم، ولم يكونوا مستعدين من قبل؛ لأنهم كانوا يسوفون التوبة، ولكن هيهات هيهات.

قال أبو ذؤيب الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ❁❁ ألفيت كل تميمة لا تنفع[2].

فإذا فاجأهم الموت وأقبلوا على الله بحسناتهم التي عملوها قبل المفاجأة فيجازون عنها بجنته – بفضله – وإن أقبلوا على الله بسيئاتهم فإن كانوا من أهل الملة المحمدية، فهم في المشيئة، قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[3] وإن كانوا من غيرها فمصيرهم النار، وبئس القرار، أسأل الله السلامة والعافية.

(1) صحيح البخاري، كتاب الصيام، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع.

(2) مقالة الخلفاء عند حضور الموت، لأبي بكر عبد الله بن محمد... بن قيس البغدادي ت: 281هـ.

(3) سورة النساء، آية 115.

4 - ومـن الفوائـد المهمـة أن الوبـاء عَلَّـمَ النـاسَ الاعتـمادَ عـلى النفـس، وأن للمسـلمين قـدرة يسـتطيعون مـن خلالهـا أن يفعلـوا العجـب العجـاب، وأن يكتفـوا بأنفسـهم - بعـد اللـه تعـالى - في تدبـير شـؤونهم الخاصـة بالبيـت والعامـة، فتنافـس الأفـراد، والمؤسسـات، والمصانـع في صنـع مـا يحتـاج إليه المجتمـع البشري مـن أجهزة وأدويـة، وهـذا ليـس في الداخـل فقـط، بـل ظهـرت قـدرات الشـباب المغـربي حتـى خـارج الوطـن - بفضـل اللـه سـبحانه - فالمسـلمون مـن خـلال التجربـة التـي اكتسـبوها بسـبب الوبـاء قـادرون عـلى التخلـص مـن التعلـق ببراثـن الاسـتعمار إن سـنحت لهـم الفرصـة، إضافـة إلى أن الحجـر الصحـي جعـل ربـات البيـوت يعتمـدن طبـخ الطعـام الطبيعـي، الـذي يكسـب الجسـم القـوة والمناعـة، التـي تعـين عـلى محاربـة الفـيروس؛ لأن المجتمـع المغـربي في الآونـة الأخـيرة كاد يتجـه وجهـة واحـدة في اعتـماد الأكل خـارج البيـت، وتنـاول الأطعمـة المعلبـة السـامة غـير الطبيعيـة التـي أساسـها المـواد الحافظـة، وهـو الـذي لم يكـن لـه وجـود إلى عهـد قريـب!

ونمـط العيـش عـلى هـذه الطريقـة ليـس مـن ثقافـة المغاربـة المسـلمين، وهـذا سـبب ظاهـر في أسـباب الأمـراض المسـتعصية بشـهادة الخـبراء مـن الأطبـاء.

5 - ومـن الفوائـد التـي ظهـرت في مجتمعنا المغربي بسـبب فـيروس "كورونا" بشـكل لافـت للنظـر - والحمـد للـه - التكافـل الاجتماعـي الـذي ظهـر بـين الأفـراد والجماعات والمؤسسـات، وشـمل كل أنـواع التكافـل المـادي والمعنـوي فبمبـادرة ملكيـة سـامية، فُتـح صنـدوق التضامـن ليكفـل للعاطلـين عـن العمـل وللمحتاجـين قـوت يومهـم ويطمئنهـم مـن فـزع خـوف الجـوع وهلـع المسـغبة، وتنافـس النـاس في الإسـهام مـن أجـل تحقيـق الغـرض ذاتـه، كـما أن الطاقـم الطبـي ضحـى بوقتـه ونفسـه مـن أجـل إنقـاذ الآخريـن، وخاطـر بحياتـه مقدمـا في ذلـك المصلحـة العامـة عـلى الخاصـة، كـما ظهـرت التضحيـة مـن رجـال الأمـن والإعـلام والسـلطات الداخليـة، وتجنـدت كل الجهـات المسـؤولة في البلـد لتبعـث الـروح في نفـوس المواطنـين، ولتنقـذ أرواحهـم من الهـلاك، مـما أدى إلى انصهـار الـكل في لحمـة واحـدة - بفضـل اللـه سـبحانه - وبذلهـم كل مـا في وسـعهم لدفـع خطـر الوبـاء عنهـم وعـن مجتمعهـم، ومحاولـة القضـاء عليـه، بالنفيـس والغـالي ولم يعـد أحـد يفكـر في انتمائـه الضيـق إلى أيـة جهـة مـن الجهـات،

حزبيـة كانـت أو جماعيـة، قبليـة أو عشـيرية. حتـى صـاروا يتأسـفون لمـوت أحـد المغاربـة كأنـه أحـد أقربائهـم.

6 - ومـن الفوائـد التـي تسـجل بالمناسـبة أن الأطبـاء أجمعـوا عـلى ملازمـة النظافـة؛ لأنهـا مسـاعدة عـلى التقليـل مـن الإصابـة بالفـيروس، وهـذا شيء جميـل، لـو التزمـه المسـلمون في مناحـي حياتهـم كلهـا، واسترشـدوا بهـدي الديـن الحنيـف، وعلمـوا أن الإسـلام مـن أول مـا دعـا إليـه، في بدايـة دعـوة النـاس إلى ترسـيخ العقيـدة، هـو المحافظـة عـلى النظافـة بـكل مـا تحملـه الكلمـة مـن معنـى، ولكـن النـاس تهاونـوا في الالتـزام بمبـادئ الـشرع إلا قليـلا منهـم، فهـذا المبـدأ السـامي يجـب اسـتثماره بـدءا من هـذا الحـدث والاسـتمرار عليـه طيلـة العمـر؛ لأنـه مبـدأ مهـم، يعتـز بـه كل منتسـب إلى الإسـلام، ومـما يؤسـف لـه، ولا يسـوغ شرعـا وعقـلا وعـادة أن الأطبـاء ورجـال الإعـلام والمسـؤولين لم يحثـوا بإلحـاح عـلى التـزام النظافـة إلا بعـد أن وقعـت الواقعـة، وصـار غـير المسـلمين ينبهـون عـلى ذلـك. فرسـالة الـكل يجـب أن تسـتمر مـدى الحيـاة.

وعندنـا مـن النصـوص القرآنيـة والحديثيـة، ومـن الأحـكام الدالـة عـلى التـزام النظافـة مـا لا يخفـى عـلى ذي بصـيرة، فمـن أوائـل مـا نـزل مـن القـرآن قـول اللـه تعـالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1] ومـن السـنة عـن عـلي - رضي الله عنه - قـال: قـال رسـول اللـه - ﷺ -: "مفتـاح الصـلاة الطهـور، وتحريمهـا التكبـير، وتحليلهـا التسـليم"[2]

ومنهـا أيضـا: عـن أبي مالـك الأشـعري قـال: قـال رسـول اللـه -ﷺ-: "الطهـور شـطر الإيمـان، والحمـد للـه تمـلأ الميـزان، وسـبحان اللـه والحمـد للـه تمـلآن - أو تمـلأ - مـا بـين السـماوات والأرض، والصـلاة نـور...[3]. فالصـلاة التـي هـي نـور ينبغـي أن تسـتوفي شروطهـا، وأهمهـا الطهـارة مـن الخبـث والنجاسـات وكل القـاذورات.

ومـن الأحـكام الفقهيـة التـي وردت عـن طريـق التواتـر الفعـلي الفقهـي أن المسـلم إذا أراد أن يُقبـل عـلى اللـه في الصـلاة، فـلا يجـوز لـه الدخـول

(1) سورة المدثر، آية 4.

(2) سنن أبي داود: تحقيق شعَيب الأرنؤوط - طبعة: دار الرسالة العالمية.

(3) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء.

على الله فيها إلا بعد طهارة جسمه وثيابه ومكانه، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - ﷺ -: يا أيها الناس: إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾[1] حسا ومعنى.

إذا تدبر المسلم النصوص الواردة في الحث على الطهارة الحسية والمعنوية، ونداء أطباء العالم مسلميهم، وكافريهم، بالتزام النظافة لأنها تساعد على الوقاية من الإصابة بفيروس "كورونا" وغيره، فما على العاقل إلا أن يهتم ويهتبل مستقبلا بهذا الجانب، ويستنير بهدي الإسلام في ذلك، فتتظافر الجهود من أجل نظافة القلوب، والأجسام، والأمكنة، بما في ذلك المنازل والمؤسسات والشوارع والأزقة، فلا يجوز إطلاقا في المجتمع الإسلامي أن تقع عين المسلم أو غيره على القاذورات والقمامة من الأزبال التي هي سبب رئيس في نقل الجراثيم وانتشار الأوبة الفتاكة، ويقبل ذلك، وهذا الحكم بإجماع الأطباء كلهم، والمهتمين برصد الأوبة في العالم كله. فهذا الحدث الذي وقع يعتبر فرصة للمراجعة، وإعادة تربية المجتمع المسلم وتعويده شيئا فشيئا، حتى يتمرن على تعود النظافة والطهارة التي هي في صالحه المعنوي والمادي، فالابتلاء بفيروس "كورونا" - الذي هو سنة من السنن الكونية - إذا تدبره العاقل يمكن أن يستفيد مجموعة من الفوائد عن طريق إمعان النظر فيه.

ومن خلال هذا الوباء الذي اجتاح العالم يمكن أيضا أن يتفادى الناس العدوى التي تحدث بسبب الإصابة بالزكام، فلو التزم الناس وضع المنديل حين العطاس في الأماكن العامة وتحاشوا إلقاء النخامة في الأرض لقللوا من العدوى التي تنتشر في البيوت والمساجد والمدارس وكل الأماكن العامة.

7 - ومن إيجابيات الوباء إغلاق أماكن عديدة للشر والفجور، ومعاقرة الخمور، ومحاربة الفضيلة، التي سدت في وجه بعض الناس الغافلين عن طاعة ربهم، وعن يوم العرض عليه، فهي فرصة ثمينة لمن أراد أن يتوب إلى الله تعالى من

(1) سنن الترمذي، 70/5 تحقيق: بشار عواد معروف، والآية من سورة المؤمنون: 52. نشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت. سنة النشر: 1998م.

ارتياد أماكن الدعارة الليلية، وهتك الأعراض، ونشر الأمراض الفتاكة، ويرجع عن غيه بصدق، فمن همَّ بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة، إن أخلص لله تعالى في تركها. وكان ترك الهمِّ بها من أجل الله تعالى، ولم يكن هناك مانع بشري من خوف أو استحياء منه، أو عدم القدرة على فعلها والوصول إليها.

أثرت هذه الإثارات، لتكون عبرة لمن يعتبر، ونبراسا في مستقبلنا بحول الله وقوته. لله الأمر من قبل ومن بعد.

خاتمة:

أمسك القلم، وأجعل مسك الختام، أفضل الصلاة وأزكى السلام، على خير الأنام سيدنا محمد الذي قال الله في حقه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[1]. هذه إشارات عابرة، وإلا فالموضوع مترامي الأطراف، يحتاج إلى بسط القلم أكثر، من أجل الإحاطة به، وجمع شتاته، ولكن الإشارة تغني عن العبارة، ولعلي أكون قد وافقت الصواب فيما كتبت، وأرجو الله أن ينفعني به، وأن يكون عبرة وعظة لمن يطلع عليه من المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

(1) سورة الأنفال، آية 33.